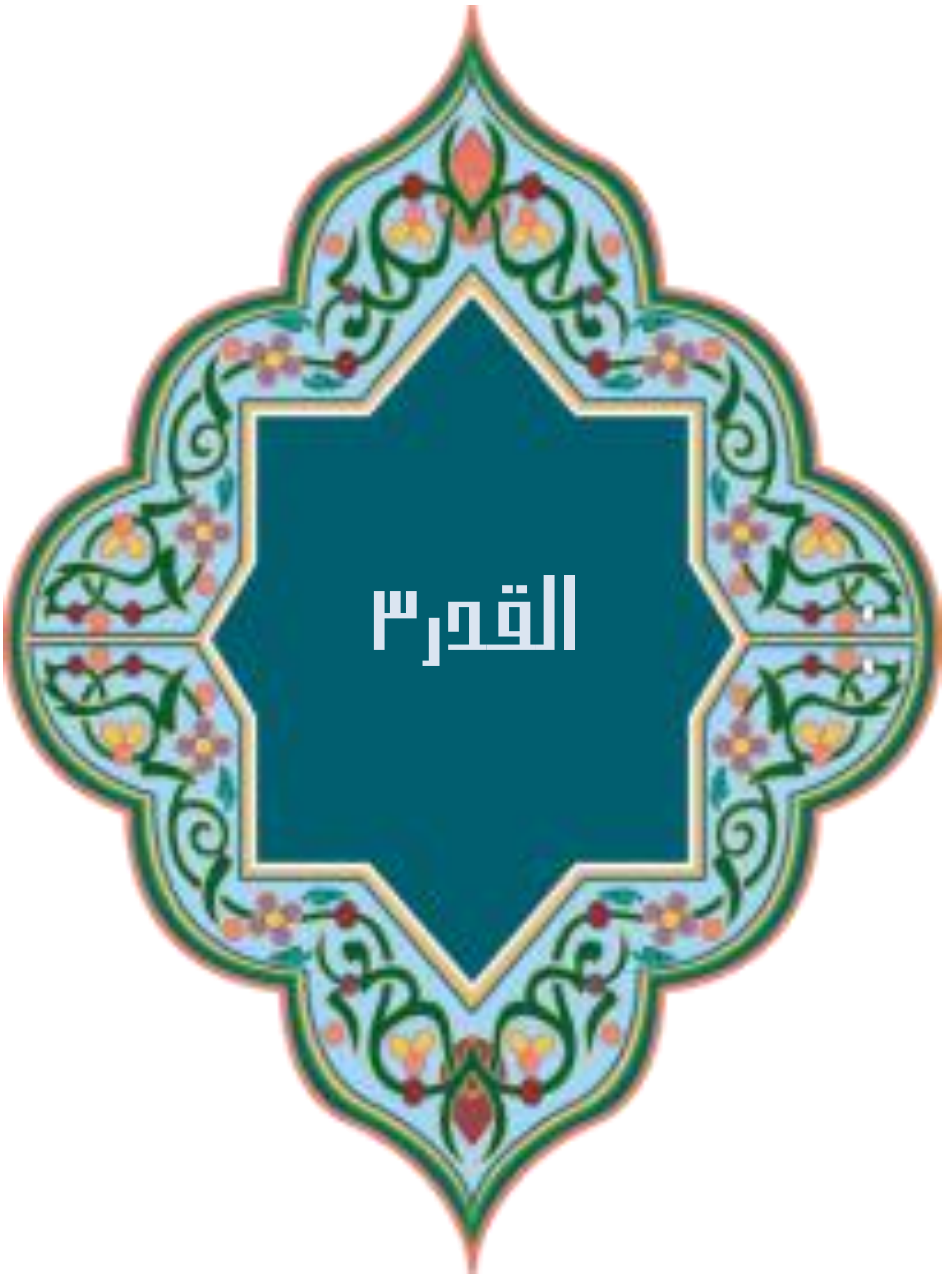

تفريغ الطالبات لحلقات الدكتورة أم تميم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الْحَمْدُ للهَّ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم،وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار...

اليوم بإذن الله تعالى نستكمل الحديث فيما قد سبق أن بدأناه في اللقاءات السابقة من الكلام عن :

{ القدر }

وكنا قد بينا عدة نقاط منها :

١-معنى القدر لغةً واصطلاحًا.

٢-الفرق بين القضاء والقدر.

٣-مراتب الإيمان بالقدر (أربعة مراتب).

أما اليوم فسوف نتكلم عن انقسام العباد في الإيمان بالقدر.

* انقسم العباد في مسألة الإيمان بالقدر إلى ثلاثة طوائف :

١ - الطائفة الأولى :الجبرية الجهمية (هي فرقة من الفرق الإسلامية):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» .

قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»

المعجم الأوسط (٤٨٨٦).

ملاحظة هامة:

حينما كان النبي ﷺ بين ظهراني أصحابه لم تكن هناك فِرَقْ ولكنها ظهرت فيما بعد وبالرغم من ذلك فقد ذكر لهم النبي ﷺ:

أن الأمة سيأتي عليها وقت تظهر فيها هذه الفرق وقد كان،لذلك فإن هذا الحديث يُعد من أعلام النبوة ومعجزة من مُعجزاته ﷺ.

(أنه تنبأ بشيء حدث بعد موته بفترة زمنية طويلة)

عندما قال النبي ﷺ ذلك تعجب الصحابة رضي الله عنهم فسألوه عن الفرقة الناجية؟

فقال: ما عليه اليوم أنا وأصحابي.

فبَيَّن للأمة أن طريق النجاة يكون في إتباع ما كان عليه هو وأصحابه هذه هي الفرقة الناجية نسأل الله أن نكون منها أما باقي الفرق فقد تشعبت بهم الأهواء والطرق فضلُّوا وأضلوا.

سبب ضلال أي فرقة يكمن في أشياء :

١ -البعد عن العلم وعن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢ - تقديم العقل على النقل.

وإذا بحثنا عن سبب ضلال أي شخص فيما يخُص دينه لوجدناه يُقدم العقل على النقل، أي أنه يقوم بعرض المسألة على عقله فإن قبلها كانت مقبولةً عنده وإن لم يقبلها ردها ولم يأخذ بها وهذا هو منهج الفلاسفة وغيرهم ممن يعرضون أمور الدين على العقل أولًا.

من هذه الفِرَق فِرقة (الجهمية الجبرية).

فما هو اعتقاد هذه الفرقة في القدر (الجبر)...

قالوا : إن الله ﷻ خالق كل شيء (هذا أمر مُتفقٌ عليه)ثم حادوا عن الطريق فقالوا:أن كل شيء يخلُقه الله فهو محبوبٌ عنده سبحانه

(هذا الأمر غير صحيح).

☜ فقد خلق الله سبحانه أشياء وهو لا يُحبها (خلق الشر_الفساد _ الشيطان) ،خلقها وهو لا يُحبها لأن له مشيئة وحكمة جعلته يخلُق أشياء لا يُحبها ولكن أرادها (إرادة كونية).

☜ قولهم هذا قادهم إلى القول بأن الله يحب المعاصي ويحب الطاعة ، فالطائع مُتحرك لا إرادة له،والعاصي كذلك

☜هؤلاء أثبتوا القدر إثباتًا كاملًا....

فكل شيء في الدنيا بقدر بما في ذلك المعاصي (هذا صحيح) ولكن نظروا إلى المعصية والطاعة على أن كلٍ منهما بقدر والعبد مُجبر عليهما،فإذا فعل العبد أمر بطريقة معينة فهو مجبر عليها وإذا فعل نفس الأمر بطريقة عكس الأولى فهو أيضًا مُجبر (هذا هو ما يُطلق عليه العوام أنه مُسيَّر أو مُخيَّر).

۞ المقصود بكلمة مُسيَّر:

أن الشخص يسير مدفوع مسلوب الإرادة وكأنه آلة وهناك من يقوم بتحريكه..

❁ هذا القول: يتضمن نفي مشيئة وإرادة العبد.

(فهو عبارة عن آلة كل حركاتها وسكناتها تكون وفق منهج الإجبار لا الاختيار فشمِل هذا أمور الدنيا وأمور الدين)فالعاصي مجبر والطائع مجبر، هذا الكلام غير مقبول وأي عاقل يرفضه.

❁عقيدة الجبر تتنافى مع مقتضيات الحكمة والعقل والعدل❁

لأن الإنسان إذا كان مُجبر على كل شيء ومُسيَّر في كل أموره فما هي فائدة الأمر والنهي _والثواب والعقاب _الجنة والنار.

وإذا كان العبد مُجبر على الطاعة فعلامَّ الثواب،وإذا كان الله عز و جل وفق نظرتهم الضالة واعتقادهم الفاسد أجبر الطائع على الطاعة والعاصي على المعصية – تعالى الله عن ذلك – لكان عليه أن لا يُثيب هذا بالجنة ولا يُعاقب ذاك بالنار،هذا ما تقتضيه الحكمة وكذا العقل والعدل،هؤلاء جعلوا أوامر القرآن ونواهيه ضرب من السفه لا معنى لها ،ونسبوا إلى الله عز وجل الظُلم البيِّن.

❁ استند هؤلاء إلى آيات الله وأحاديث الرسول ﷺ الخاصة بالقدر..

قال تعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) } [القمر]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ:قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي العَنَتَ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ [ص:٥] النِّسَاءَ، فَسَكَتَ

عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ»

أخرجه البخاري (٥٠٧٦)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:

" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ "

أخرجه مسلم(٢٦٥٣)

☜ وقالوا :إذا كان كل شيء مكتوب فإن العباد مسيَّرون.

هؤلاء ساروا على هذا الضلال المبين...

❁ الفهم الصحيح للنصوص جاء من السلف

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ:

«لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ،فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ:

«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»

أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

سُراقة بن مالك عندما سأل النبي ﷺ أراد أن يفهم وبالفعل عندما أدرك معنى الحديث عمل بمقتضاه وكذا الصحابة نظروا في الآيات والأحاديث وأدركوا أنها لا تعني التوقف عن العمل.

⊘ إشكال:

علمنا مما سبق العقيدة المُسيطرة على هؤلاء ،ولكن الإشكال يكمن في أن كثير من المسلمين الآن صِغارًا كانوا أو كبارا، نساء أو رجالا مُتلبسين بهذا الفكر وهم لا يعلمون ، سواء كان عصاة أو طائعين والعاصي فكره الجبري أخف من طائع، لماذا؟؟!!

لأن المُتلبس بالمعصية يمكن أن يتوب أو يُفكر في ترك المعصية والإقبال على الطاعة وهنا تثبت له إرادة أما الطائع الذي يسير في طريق الله ولكن لا يتقدم بل وقف عند حد معين فهذا كثيرا ما يسيطر عليه فكر الجبر، ولكن كيف؟

☜

الشيطان يُدْخِل عليه هذا الفكر ويملأ به قلبه،فكيف النجاة من هذا ؟

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان ينقص ويزيد.

☜ والطائع الأصل أنه يزيد في طاعته ويتقدم فيحاول مرات ولا يستطيع أن يرتقي فهنا يدخل عليه الشيطان هذا الفكر ويملأ به قلبه وللأسف

يستجيب له وهذه نتيجة حتمية لقلة العلم

☜ الرد على هذه الشبهة : أن الرب الكريم المنان يحب أن يرى من عباده الخير ويرى مدى حبهم له وتعلقهم به وتوسلهم إليه

☜ وانتبهن لأن الله هو العزيز.

۞ فمن هو العزيز؟؟ هو الذي لا يستطيع أن يدخل عليه أحد من باب الاستعلاء أو الاستغناء أو الكبر أو الغفلة،فكل هذه الأبواب تحول بين العبد وبين الوصول إلى ربه ومولاه.

مثال : إنسان يريد أن يُقلع عن معصية أو يُقدم على طاعة فيقول أنا أدعو الله وأحاول فهل هذا الشخص بهذه الطريقة يكون مُقْبِل على ربه بصدق وإخلاص وحالة من احتراق القلب كي يصل إلى رضا الملك أم أنه يدعو دعاء المستغني أو الغافل؟

إذا لم يُقبل العبد على الملك وقلبه ممتلئ بكل هذه المعاني فلن ينال أي شيء مما يريد لأنه هو العزيز.

لماذا يُمهد الطريق في البداية ثم توضع له العراقيل؟

الطائع في بداية أمره عندنا يقبل على الطاعات كان الأمر يسير عليه ويسهل عليه إتيانها ثم بعد ذلك قد يصعب عليه ذلك فلماذا؟

لأن من لُطف الله بعباده أن يعينهم ويُيسر لهم في بداية الطريق،فإذا ما ساروا خطواتهم الأولى كان لزامًا عليهم أن يُحققوا العبودية حتى يتنزل لطف الله.

❁ أما تحقيق العبودية فيكون :

بالذل والانكسار والحب والود والبكاء بين يدي الله إلى أن يشعر العبد أن قلبه قد انفطر رغبةً في تحقيق العبادة أو التخلي عن المعصية،ففي هذه اللحظة يُفتح الباب وتسهل الخطوات ويمهد الطريق لنيل هذه الأمنية الله العليم يطلع على قلب عبده المحب المقبل الذي بذل كل ما عنده لإرضائه فيعطيه من حيث لا يدري ويفتح عليه فتوحات تتناسب مع عطاء الملك الكريم.

❁ استدلالات الجبرية على اعتقادهم الضال:

قال تعالى:

{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) }

[الأنعام]

حُجة الكفار هي نفسها حجة الشيطان وكذا حجة الكثير من المسلمين فلماذا؟

لأن أهل الباطل طريقهم واحد لا يتبدل لقد قال الشيطان :

{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩)}

[الحجر]

وقال أيضًا :

{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)}[الأعراف]

إذًا فإن منطق الشيطان هو أن الله هو الذي أغواه وبالتالي فإنه مجبر وما فعل أفعاله هذه إلا لأنه مُجبر عليها نفس المقولة قيلت من المشركين :

{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}

أي أن الله عز وجل لو لم يرد لنا الشرك لما أشركنا ولكننا مجبرون على هذا

فقال تعالى ردًا عليهم:

{ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا }[الأنعام]

☜ معنى قوله تعالى: {حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا } يعني أن الله سبحانه وتعالى قد عذبهم بهذا القول الكفري.

☜استدل العلماء: بهذه الآية على أنهم لم يكونوا مُجبرين ،ولو كانوا مجبرين لما عذبهم فهل يُعقل أن الله الكريم المنان الرحمن الرحيم يُجبر العبد على الذنب ثم يُعذبه عليها ؟

قال تعالى: { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا }.

هل لديكم علم بهذا القول الذي تدعونه ؟

أم أن أحدًا أخبركم بهذا الإدعاء

(أن رب العالمين يُجبر الناس ثم يُدخلهم النار – تعالى الله عن ذلك–)

قال تعالى:{ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)}

إنكم تُكذبون الرسل وتكذبون آيات الله سبحانه وتعالى وبراهينه وتسيرون خلف عقولكم الفاسدة فطُمست قلوبكم وانتكست فطرتكم وهذا هو حال المشركين والكفار.

قال تعالى:

{ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)}

[الأنعام]

ثم أقام الله عز وجل عليهم الحجة فقال :قل فلله الحجة البالغة،وله سبحانه الحكمة الكاملة ومن المُحال أن يفعل فعل تشوبه شائبة ظُلم أو عدم حكمة...

(فيجعل العبد مُسيَّر ويجبره على المعصية أو على الطاعة ثم يُعاقبه أو يثيبه)

ولو أن فعلًا مثل هذا صدر من عبد لوسمه الناس بالظُلم [أمر الأب ابنه بإحراق المنزل وبعد أن استجاب الابن وقام بما أمره به قام الأب بمعاقبة الابن على هذا الفعل، فهل يُقبل هذا الأمر؟

أول شيء يُقال على هذا الرجل أنه إما أنه ظالم أو مجنون،يأمر ابنه بالفعل ويجبره عليه ثم يُعاقبه؟؟!! هذا شيء غير مقبول من بشر فكيف برب البشر ؟

هذا يُنافي العدل ويُنافي الحكمة ولذلك فإن هؤلاء قد خرجوا من دين المسلمين لأنهم ظنوا في الله عز وجل ظن السوء أن يُعذِّب ويُجازي بلا حكمة – تعالى الله عن ذلك – .

٢-الطائفة الثانية (المعتزلة):

وهذا الفريق على النقيض من الفريق الأول...فهؤلاء رأوا أن قول الفريق الأول يؤدي إلى نسبة الظلم لله سبحانه فقالوا عكسه

فماذا قالوا؟

قالوا:

أنه سبحانه وتعالى لم يخلق شيئًا مُطلقًا ولم يجبر أحدًا على شيء لا طاعة ولا معصية ،ولكن الإنسان بمطلق إرادته يُطيع أو يعصي كما أنه يخلق أفعاله ، هؤلاء هم المعتزلة (من الفرق الضالة) و للأسف هذا الفكر موجود ويُدَرَّس في بعض الجامعات كأصول الدين وغيرها .

❁ما هي عقيدة هؤلاء :

يقولون أن الله لم يخلق أفعال العباد.....

فإذا ما قيل ما هي حجتكم في نفي خلق الله لأفعال العباد ؟

قالوا: لأننا لو قلنا أن الله سبحانه خلق أفعال العباد لنسبنا له الظلم كما فعل الجبرية.

هؤلاء أرادوا أن ينفوا الظلم عن الله عز وجل فوقعوا في التعطيل، فعطلوا أمر الله.

☜سؤال آخر:

إذا لم يكن الله سبحانه هو الخالق لأفعال العباد فمن هو خالقها؟

قالوا : العبد! فوقعوا في ضلالتين:-

☜ **١ - أثبتوا الخلق لغير الله فوقعوا في إشكالية أكبر وهي أنهم جعلوا للعالم خالقين**

☜ **٢ - كما أنهم نفوا صفات الله ، فبذلك ضلوا وأضلوا.**

استدلالات المعتزلة لإثبات اعتقادهم الفاسد...

١-قال تعالى:

{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)}

[آل عمران]

استدل هؤلاء بقوله تعالى {منكم }فقالوا :إن الله عز وجل أثبت للعباد الإرادة وبالتالي فإن الأفعال تكون نتيجة لإرادتهم ومن خلقهم.

٢-قال تعالى:

{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(٤٦)}

[فصلت]

فقالوا:إن الآية تدل على أن العبد هو الذي يعمل...

☜الرد : هذا صحيح فالعبد يعمل وهذا كسبه ولكن بمشيئة الله ،فمشيئة العبد محاطة بمشيئة الرب وإرادة الله سبحانه وتعالى تسبق إرادة العبد.

☜ فللعبد إرادة ومشيئة نعم وهي التي جعلته يعمل لكنها بفضل الله وإرادته ومشيئته ، ومَنْ لم يُعِنه ربه على الصلاة فلن يصلِ ومن لم يعنه على الصيام فلن يصُم، ومن لم يعنه على كل خير فلن يفعل.

☜ أما فيما يخص الشر فإن العبد يعمله بعلم الله وأمره الكوني لا الشرعي (فالشرور_الفساد_المعاصي) تُفعَل فى الكون بأمر الله (الكوني).

فالله عز وجل لا يأمر بالفساد ولا يحب الفساد ولكنه يقع بأمر الله الكوني ، قدر الله على عبده العاصي المعصية كونًا لعلمه السابق بأنه لا يستحق الطاعة وأنه يحب المعصية.

☜ الشاهد: أن للعبد إرادة ومشيئة واختيار.

*قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(٣)} [الإنسان]

*قال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(١٠)}[البلد]

*قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} [الليل]

والآيات كثيرة جدًا فى الدلالة على أن الله أعطى للعبد الاختيارفعليه أن يختار،وأراه طريق الجنة وطريق النار بل ويسر طريق الهداية لأهل الهداية، ويسر طريق الغواية لأهل الغواية ولا يظلم ربك أحدًا.

❁ وعقيدة أهل السنة والجماعة في الوسط في هذا الأمر

بمعنى أن العبد يجمع بين النقيضين فليس مسيرًا بصورة مطلقة كما أنه ليس مخيرًا بصورة مطلقة...

١ – فهناك أمور ليس للعبد فيها أي مجال للاختيار(مسير فيها).

❁مثال : أن يولد العبد طويل القامة أو قصير ، لون بشرته أسمر أو أبيض ،الشمس تشرق من مكان معين،مَرض العبد أو شفائه ،عدد سنين عمره ، مثل هذه الأمور ليس للعبد فيها مشيئة ولا اختيار ولا إرادة ولكن قدرها الله سبحانه وتعالى عليه لحكمة بالغة لابد أن يستسلم لها سواء كانت مُوافقة لهوى النفس أو ضده، أي شيء قدره الله على العباد لابد أن يُقرون به و يرضونه (رضينا بالله ربًا).

٢–وهناك أمور أخرى لو اعتقد العباد فيها أنهم مُجبرون عليها لفسدت عقيدتهم ولو ماتوا عليها لكانوا من أهل النار.

۞ ما هي مُحصِّلة ذلك كله؟

١-العباد ليسوا مجبرين بصورة كاملة وأيضًا ليسوا مُختارين بصورة كاملة.

٢-الله عز وجل له إرادة ومشيئة والعباد أيضًا لهم إرادة ومشيئة ومشيئة الرب تُحيط بمشيئة العبد وتسبقها.

فإرادة اللَّه ومشيئته تعين العبد وتُسانده وتُسدده في العمل الصالح إذا علم من قلبه أنه يُريد الخير

✎ مثال : اللاتي يَحْضُرن المجلس اليوم لماذا أتين ؟

لأنهن يُحببن الله ورسوله ويردن فهم دينه ويتمنين أن يغفر الله لهن (أسأل الله أن يغفر لنا جميعًا).

فهل يسر الله لهن السُبل ؟

نعم ،لأنه سبحانه علم ما في النوايا من إرادة الخير ،في نفس الوقت الذي أقبلت فيه الأخت على الحضور،هناك من أعرضت عن الحضور أو حضرت ثم انصرفت ولم يلقى الأمر قبول لديها هذه وتلك إماء الله ولكنه علم من قلب إحداهن إرادة الخير فيسره لها وعلم من قلب الأخرى أنها لا تريد ذلك فصرف قلبها.

٣-أهل السنة والجماعة (الطائفة المنصورة).

والتي جاء ذكرها فى الحديث

[الفرقة الناجية.....ما عليه أنا وأصحابي]

-قالوا نؤمن بمشيئة الله تعالى وقدرته ونؤمن بأن العبد له مشيئة وله قدرة ولكن مرتبطة بمشيئة الله وقدرته وذلك بدليل

قوله تعالى:

{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) } [التكوير]

أثبت سبحانه وتعالى أن للعباد مشيئة ، فمن شاء الاستقامة يستقم ثم أثبت لنفسه سبحانه أيضًا المشيئة فقال:

{ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) } [التكوير]

❁ فلماذا يشاء الله عز وجل لعبدٍ الخير ويُيسره له ولا يُيسره للأخر ؟

نعود إلى الحديث عن (النية_الصدق_الإخلاص_الإقبال على الله_الحب_تعلق القلب بالآخرة)فإذا ما رأى الله سبحانه كل هذه المعاني في قلب عبده فإنه سيُيسر له أمره تيسير بعد تيسير ،وهذا معلوم عند من التزم وقطع باعًا في طلب العلم: تراهم كيف أقبلوا و سمعوا وانشرحت صدورهم للخير كل هذه خطوات من العبد وتيسير من الرب جل وعلا.

ولكن لماذا يسر لعبد ولم يُيسر للآخر ؟

لأن صدقه كان أعلى وإخلاصه أكبر وهدفه جلي واضح أسمى.

فقد يكون كلاهما مخلص ولكن مَنْ لم يُيسر له الأمر غير مُقبل بنفس الدرجة ، بمعنى أنه لا يريد هذه الدرجة العالية من الالتزام وأن هذا بالنسبة له يُعد تشدد لا يريده، فيسر له الله إلى الحد الذي يريده فقط ولم يُجبره على شيء أكثر من ذلك وهناك نماذج كثيرة لمن يرتقون ويقطعون مراحل مختلفة من الالتزام ويسيرون إلى ربهما سبحانه بخطى سريعة.

☜ وهناك أمثلة أيضًا لمن يثبتون في أماكنهم منذ سنوات الالتزام الأولى فهؤلاء لم يريدوا الزيادة فثبتهم الله على ما هم عليه، والآخرين أرادوا الارتقاء فيسر الله لهم سُبلهم وسددهم وأعانهم.

۞ إشكالية :غفلة الإنسان عن خبايا نفسه.

فقد يكون بداخله مرض وهو غير مُدرك له،ولذلك فإن من نعم الله العظيمة التي أشار إليها السلف:أن يُرزق العبد الطبيب الحاذق الذي يكشف عن أمراض قلبه أي أن يجد مَنْ يقول له انتبه:لأن فعلك هذا (رياء _عُجب _كِبر_نقص في الصدق _اغترار بالدنيا_الأمن من مكر الله).

فهذا طبيب يُخرج ما بداخل قلب العبد من آفات حتى يصل به إلى الشفاء، وإدراك العبد للمرض الذي يُعاني منه هو من أقوى الأسباب التي تؤدي إلى إصلاح القلب.

أنواع المشيئة:

١ – مشيئة مطلقة.

٢ – مشيئة مُقيدة .

وقد ورد ذكر كلٍ منهما في القرآن:

قال تعالى:

{ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)}[الإنسان]

*انتبهن لقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}

*بدأ سبحانه الآية بقوله: { إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ}

*والتذكرة المقصود بها :

(إرسال الأنبياء_إنزال الكتب بما فيها القرآن_إنزال الوحي_وفي زماننا الدُعاة)

*ثم قال جلَّ ذِكره :

{ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا}

هنا أثبت مشيئة للعبد،فمن أرد الاستقامة فليستقم،ولكنه لم يترك الآية عند هذه الكلمة...(حتى لا يقع أحد في الفكر الضال والمقصود هو فكر المعتزلة الذين سبق ذكرهم)

* فأعقب ذلك بقوله سبحانه:

{ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }

فكان هذا تنبيه حتى لا يعتقد أحد أنه بحوله وقوته يستطيع أن يُدير دنياه فيفعل ما يشاء وقتما يشاء وإذا أراد أن يعبد الله عبده وإذا أراد المعصية عصاه فجاء الرد القرآني البديع الذي قيَّد مشيئة العبد بمشيئة الرب.

ولكن لماذا ذكر هذا القيد ؟

لأنه ذكر في نهاية الآية : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }

أي أن :العبد إذا أراد أن يعمل عملًا وبالفعل قام به ويسر الله له القيام به ، فليعلم أن الله عليم حكيم ، فهو عليم بحال عبده ويرى مدى صدقه ، وحكيم أعطاه ما يريد ولكنه لم يعطه في الوقت الذي أراده(العبد) بل في الوقت الذي أراده الله فلماذا ؟

لأن الإنسان قد لا يعرف أين يكمن الخير ، فقد تكون إرادته لطاعة ما لكنه لا يستطيع القيام بها رغم أنه يسير على الطريق إلا أن الله عز وجل لم يُيسر له القيام بهذه الطاعة ، لأنها قد تأتي بنتيجة عكس المرجو منها. بمعنى أنها قد تؤدي بصاحبها إلى (العُجب _ الكبر_ وقد يستلزم القيام بها الضغط على النفس إلى الدرجة التي تصيب صاحبها بعد ذلك بالفتور) فإن الله سبحانه يعلم هذا كله فيمنع العبد من هذه الطاعة لأنه يريد له خير أكثر مما يتمنى هو.

سؤال : كيف يُفرق العبد بين المنع الذي تكمن فيه إرادة الخير من الله والمنع الذي ينطوي على عقوبات؟

يعرف هذا من خلال النظر في النوايا فإن كانت خالصة صادقة مع السعي في طريق الحق والاستقامة فلا يحزن، ويستبشر؛ لأن هذه علامة إرادة الخير فإذا أغلق عليه باب فربما يفتح الله عليه أبوبا أخرى.

فمثلا من يُحاول أن يكون داعية إلى الله أو معلما ولا يستطيع فلا يحزن ما دام على طريق الاستقامة ولا يعصي الله فقد يكون الخير غير مكتوب في هذا الباب ولكنه يأتي من بابٍ آخر ، فقد يفتح له في حفظ القرآن وتعليمه خير كثير، فليرضى بقضاء الله عز وجل ولكن هذا كله مشروط بالأخذ بالأسباب ودعاء الله وطرق الأبواب الأخرى؛ لأن غلق باب ليس معناه الركون والاستسلام ولكن على العبد أن لا يترك باب إلا وقد أخذ بالأسباب فيه حتى يُفتح له.

من أدلة المشيئة المطلقة :

المشيئة المطلقة:

١ -قال تعالى:

{ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

[الكهف]

قال تعالى:

{ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) }[الإسراء]

قيل: سعى وأراد إذن فإن السعي والإرادة منسوبة للعبد نفسه ...نعم ... فكما وردت هذه الآيات عن المشيئة المطلقة فثبت آيات أخر جاءت لتُقيد هذه الآيات فيُحمل المطلق على المُقيد حتى يحدُث التوازن والفهم لدين الله سبحانه وتعالى.

ومشيئة الله عز وجل متعلقة بكل ما جاء في الكون

(قدر كوني_قدر شرعي)

أما الإرادة فنوعان :

١- إرادة كونية .

٢- إرادة شرعية

الإرادة الشرعية هي:

أوامر الله ونواهيه (إفعل ولا تفعل) والله سبحانه يُحبها ويرضاها

مثل (صلاة_صيام_حج_حجاب_قيام ليل_صدق_إخلاص

والمنهيات كالامتناع عن أشياء معينة .

✍ إرادة الخير بالفعل وإرادة الخير بالنهي.

فما نهانا الله عن شئ في ديننا إلا وبه مصلحة كاملة أو راجحة وما أمرنا

بشيء إلا فيه مصلحة كاملة أو راجحة،وأي أمر من أوامر الله لو وجدنا في

النفس منه حرج وقيل:لماذا أمرنا الله بهذا ؟

☜ لجاء الرد من أهل العلم:بأن هذا الأمر يتضمن مصلحة راجحة هي

كذا وكذا ، وأيضًا ما نهانا عن أمر إلا وفيه مفسدة راجحة ولابد.

قال تعالى:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) }[البقرة]

ذكر الرب تبارك وتعالى أن فيهما نفع ولكن أعقب ذلك بقوله :

{وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}

انتبهن : لأن ثقة العبد بربه لابد أن تكون في عنان السماء فلا يصل إليها أحد ولا تتزحزح لحظة ،لأن الثقة في أسماء الله وصفاته لو تزحزحت في القلوب طرفة عين لهوى مستوى إيمان العبد من السماء إلى الأرض

يقول شيخ الإسلام ردًا على هذه الفرق الضالة :

الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مُسيَّر ومُجبر على أفعاله

(ادفع القدر المحظور بالقدر المأمور).

مثال :

عندما يأتي الشتاء ماذا نفعل؟ نرتدي الملابس الثقيلة،نقوم بغلق النوافذ ماذا فعلنا ؟هل أخذنا بالأسباب لتوقي البرد أم أننا قلنا لن نفعل شيء وإن قُدر لنا المرض فسنمرض وإن لم يُقدر لنا فلن يحدث أي مكروه ؟

هل يقبل العقل هذا الكلام ؟ بالطبع لا

مثال آخر: شخص أراد أن يُرزق بالولد هل سيتزوج أم أنه سيمتنع عن الزوج ثم يقول لو أراد الله أن يكون لي ولد سيكون ولو لم يرد فلن يكون.

لو أننا سمعنا شخص يقول هذا لسارعنا إلى اتهامه بالجنون ،كيف يكون له ولد وهو ممتنع عن الزواج، الله سبحانه جعل أسباب وبالتالي فلا يصح أن نقول لو أن الله أراد سيكون ونركن إلى هذا القول ،هذا فيما يخص الدنيا،وكذا فيما يخص أمر الآخرة.

عندما تكلمنا في السابق عن مرتبة العلم قلنا:أن علم الله عز وجل ليس معناه جبر العبد على الفعل أو عدم الفعل؛ لأن العبد له مشيئة وإرادة وأعطينا مثال للتوضيح:أم كتبت أحوال ابنها لمدة عام قادم وهو لا يدري عن هذه الكتابة شيء ، وفي كل يوم يفعل الابن ما كتبته الأم بالضبط ،فإذا قيل للأم أنت كتبتي بالفعل كل ما حدث ، قالت: أنا أعرف ابني وما هي أفعاله ، ولكن هل هذه المعرفة كانت سبب في قيامه بما فعل؟

إطلاقا فلم يكن لها أي تدخل في فعل الولد ، هذا بالنسبة لأم تعرف أحوال ابنها فكيف

(برب البشر الذي يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون)

فإن علم الله سبحانه وتعالى وكتابته للمقادير ليس جبرا للعبد على الفعل بل له إرادة فيما يفعل وفيما لا يفعل وأفعاله من كسبه.

*أُمرنا بالأخذ بالأسباب

أسباب الدنيا وأسباب الآخرة ،لأن الله سبحانه جعل أمر الدنيا قائمًا على الأخذ بالأسباب وكذا الآخرة.

ولذلك قيل :إن ترك الأسباب طعن في الشريعة والاعتماد عليها كفر...

١-لماذا قيل أن ترك الأسباب (دنيا _دين) طعن في الشريعة ؟

لأن العبد عندما يترك الصلاة والصيام وغيرهما من الأعمال يكون فاسقا عاصيا فهو لا يطيع الله فيما أمره به.

مريم عليها السلام في حال وضعها لجنينها والكل يعلم مدى صعوبة حال المرأة أثناء وضعها ثم يقول لها الحق تبارك وتعالى:

{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) }[مريم].

س: هل يستطيع أحد أن يُحرك النخلة حال صحته وحتى لو اجتمع عشرة رجال ؟ فكيف بامرأة حال وضعها ؟ فلماذا أمرها الله سبحانه بهذا وهو يعلم أنها لن تستطيع ؟

ليُعلمها أن تأخذ بالأسباب وحتى لو لم يكن السبب نفسه عاملًا في هذه الظروف وبمفهوم العقل إلا أن الله سيأمره أن يعمل لأنه لابد لنا أن نأخذ بالأسباب فالجنة لها سبب وكذا النار لها سبب،والنجاح في الدنيا له سبب والفشل أيضًا له سبب ، الخالق سبحانه بنى نتائج الدنيا والآخرة على الأسباب.

٢-لماذا قيل أن الاعتماد على الأسباب شرك ؟

لأن من يقول أنا الذي أقوم بالعمل (صلاة_صيام_غير ذلك) يكون قد أشرك لأنه اعتقد أن السبب قائم بذاته في حين أنه مجرد سبب ، فإذا ما تجرد من تسخير الله له فسوف يتعطل عن أداء مهمته.

مسألة :هل الدُعاء يرد القدر.

قال تعالى:{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) }[الرعد

الله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (اللوح المحفوظ)الآية دليل على المحو والإثبات.

✎ يقول ابن الجوزي :أن للعلماء في هذه الآية ثمانية أقوال:

لكن الحقيقة:أن للعلماء أكثر من ثمانية أقوال فيها،لكن هذا اجتهاده رحمه الله

١-القول الأول :إن الله يمحو أي شيء فيمحو (الرزق_الأجل_السعادة _الشقاء_وكل شيء)وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما يطوف بالكعبة يبكي ويقول"اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبًا فامحه فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ؛ فاجعله سعادة ومغفرة"

عمر رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء استنادًا إلى نص الآية.

*ولهذا فقد قال العلماء:

أن الله يمكن أن يمحو أشياء كُتبت ويُثبت أشياء، ونحن متفقين على أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ.

*لكن هل هذا المكتوب يمكن أن يمحو الله منه أشياء ؟

نعم يمكن أن يمحو ويمكن أن يُثبت [بنص الآية _ وبقول عمر_وكان هذا هو مذهب عمر وابن مسعود وغيرهم من الصحابة].

٢-القول الثاني : أنه الناسخ والمنسوخ : فيمحو المنسوخ ويثبت الناسخ (وهذا في علوم القرآن).

معنى الناسخ والمنسوخ هو : أن هناك آيات في القرآن تُنسخ قولًا وتبقى حكمًا ،وغيرها ينسخ حكمًا ويبقى قولًا. ..مثل قوله تعالى:

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)}[البقرة]

☜ هذه الآية ثابتة كتابةً ولكنها نُسخت حكمًا. ..بقوله تعالى:{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)} [البقرة]

هذا هو مذهب ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم

قال ابن قتيبة :

يمحو الله ما يشاء أي ينسخ من القرءان ما يشاء ويثبت أي يدعه ثابتًا.

٣-القول الثالث:

قالوا: يمحو الله ما يشاء ويثبت؛إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت وهذا مذهب سعيد بن جبير قال : أن الذي لا يتغير هو الشقاء والسعادة والحياة والموت وهذا قول ابن عباس أيضًا.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ:

«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ»

أخرجه البخاري (٣٢٠٨،٣٣٣٢)أخرجه مسلم(٢٦٤٣).

٤-القول الرابع:

قريب من الثالث وهو قول مجاهدقال : يمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقاء والسعادة...

وقيل : يمحو من أجله ما يشاء ويثبت من لم يجئ أجله يعنى الموت والحياة

وقيل: يمحو ذنوب عباد فيغفرها،ويثبت ذنوب آخرين.

الشاهد: من هذه الأقوال أنه من الممكن أن تُمحى أشياء وتثبت أشياء

وهذا أمر مُبشِّر لماذا؟

لأننا يمكن أن ندفع القدر المحظور بالقدر المأمور

وعلى العبد أن يدعو ويتضرع ويعمل.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

مسند أحمد(٢٢٤١٣) الحاكم في المستدرك(١٨١٤)القضاء والقدر لبيهقي(٢٤٩)

إذًا علينا أن لا نستسلم لأننا لسنا مُجبرين على شيء...

☜ سؤال أيضًا يطرح نفسه؟

الشخص الذي يستسلم ويقول هذا ما قُدر لي هل أطلعه أحد على ما كُتب في اللوح المحفوظ ؟

قال تعالى:

{ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)}

[الأنعام].

هل أتاك العلم الذي يُخبرك أنك من أهل السعادة أو من أهل الشقاء حتى تستسلم وتقول هذا ما قُدر لي،هذا الاستسلام قد يكون مدخل شيطان ، وهل يدري أحدنا ماذا سيحمل له اليوم القادم من أقدار؟ الكل لا يعلم،فلماذا لا نعمل ؟

اعملوا لدنياكم واعملوا لدينكم ،ما تبتغونه من أمور الدنيا اسعوا في أسبابها مادامت حلال ، وما تبتغونه أيضًا من أمور دينكم فاسعوا في أسبابها أيضًا إذا كان فيها زيادة خير لكم في دينكم.

يقول شيخ الإسلام : إن المحو والإثبات يكون في الصحف التي في أيدي الملائكة والتقديرات الحولية واليومية ،ولكن ما كُتب في اللوح المحفوظ ثابت الأمر الذي لابد من الاعتناء به هو الدعاء فلندعوا الله جلَّ وعلا ونسأله أن يُقدر لنا الخير و يُيسر لنا الأمر مع الأخذ بالأسباب .

* نحن متفقين على أن اللوح المحفوظ كُتب، وجميع العلماء قاطبة اثبتوا أن الله يمحو ويثبت بنص القرآن:

١ - لكنهم اختلفوا فيما يمحوه وفيما يثبته ؟

٢ - وهل ما يمحوه يشمل ما في اللوح المحفوظ أم أنه يقتصر على ما فى أيدى الملائكة؟

ما يعنينا في كل هذا الاختلاف أنه سبحانه يمحو ويُثبت،وعلينا أن نتضرع إلى الله بالدعاء ونسأله أن يُقدِّر الخير ونأخذ بالأسباب

وإلا فما قيمة الدعاء؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ» **قَالَ سُفْيَانُ:** «الحَدِيثُ ثَلاَثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لاَ أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ»

أخرجه البخاري_(٦٣٤٧)أخرجه مسلم(٢٧٠٧).

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»

أخرجه البخاري(٢٨٢٣)أخرجه مسلم(٢٧٠٦).

كان النبي ﷺ يستعيذ كثيرًا بربه ويدعوه ويسأله أن يُجيره من أشياء كثيرة فقال :اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء،إذًا فهناك قضاء سيء بالنسبة للعبد وكان النبي ﷺ يستعيذ منه .

أدعية يُخطئ العبد إذا دعا بها رغم تداولها:

(اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكنى أسألك اللطف فيه)

لا يجوز الدعاء به لأن معناه أننا ندعو على أنفسنا بالشقاء.

ولنتناول كلمات هذا الدعاء بالشرح:

اللهم إني لا أسألك رد القضاء: كأننا نقول اللهم لا ترد المصيبة ولكن ألطف بنا فيها (فلو أني سأخسر مائة ألف جنيه فاجعلني أخسر خمسين ألف ،فكأنه قام بالدعاء على نفسه لا لها وهذا مما لا يجوز).

فقد كان النبي ﷺ يقول:

اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء: أي إن قدرت عليَّ شئ سيئ فامحه واصرفه عني، فيكفينا الله السوء.

قال ﷺ ودرك الشقاء : (أي لا تجعلني أكون في شقاء) في الدنيا أو في الآخرة

قال ﷺ جهد البلاء: أحيانًا ينزل البلاء الشديد بالعبد فيُجهده وأحيانًا تتوالى الابتلاءات ومع ضعف النفس البشرية يُجْهد العبد ، ولذلك فقد استعاذ منه النبي ﷺ.

أما عن سبب توالى الابتلاءات على العبد: فإنه يكون نتيجة عدم تضرعه ودعائه ربه بما دعاه به نبيه ﷺ:

(اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء).

- فعلى العبد أن يدعو ربه أن يدفع عنه هذا الجهد لأنه قد يصل به إلى درجة الهلاك عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»

مسند أحمد (١٨٣٨٦)سنن ابن ماجة (٣٨٢٨)سنن الترمذي (٣٢٤٧)حكم الألباني صحيح.

- فالذي لا يدعو الله فكأنما ألغى من حياته عبادة الله وبالتالي فقد خسر الدنيا والآخرة ،دعاء العبد حال سجوده يكون أقرب للإجابة لأن أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فليُكثر من الدعاء (أمر دين_أمر دنيا) دعاء يُصاحبه التضرع و البكاء و التذلل حتى يُحقق العبودية فإذا ما نزل الابتلاء مرة أخرى لا يكون سبب في إجهاد العبد.

❁ الدعاء هو السهم الذي لا يُخطئ مُطلقه.

فلا يتركه أحد وخاصة إذا كان من أدعية النبي ﷺ صاحب خير الكلام وأحسنه ، و ليس معنى ذلك أننا نمنع أحد من أن يدعو بدعاء من عنده ولكن أدعية النبي ﷺ أفضل لأنه (لا ينطق عن الهوى _أوتي جوامع الكلم) ومن المستحيل أن يأتي العبد بكلام أفضل من كلام النبوة.

ولكن لا نُلزم بكلام النبوة على وجه الاستمرار لأن بعض العباد أحيانًا لا يفهمون كلام الدعاء وبالتالي فعند النطق به لا يستشعره القلب.

۞ فنقول : الأفضل في هذه الحالة أن يدعو العبد بما خطر على قلبه، أما في حالة الفهم للغة ومعرفة معاني الدعاء فعلى العبد أن يلزم الدعاء النبوي.

۞ إذا علم العبد أن بيده هذا السلاح الخطير: فمن المستحيل أن يستسلم أو أن ييأس في حالة نزول البلاء عليه ،ولن يدخل الشيطان عليه من هذا الباب فيصل به إلى قول بائس: أن هذا هو ما قدره الله عليَّ ولا فائدة أي من العمل، فهذا مدخل للشيطان لابد من الانتباه.

۞ إذن استسلام العبد لنجوى الشيطان يضعف أداؤه.

قال تعالى:

{ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) }[المجادلة].

۞ خاصة الملتزمين : يدخل الشيطان لأحدهم فيحزِّنه ويظهر له أن الطاعة حزن ونكد ، ويرى الناس ذلك فيه فتُصْرف قلوبهم عن طاعة الله لأنهم يروا أن الالتزام نتيجته هذا الحزن والنكد ويُصبح الملتزم بصورته هذه وسيلة للصد عن سبيل الله.

۞ انتبهن: الأنبياء كانوا يحزنون لبعض الوقت ثم ينتهي الأمر فلا يصل بهم الحُزن إلى درجة الاكتئاب لماذا ؟

لأن الاكتئاب يضعف الأداء كما يقول علماء النفس فالمكتئب مستحيل أن يعمل بشكل جيد ، فلا يستطيع أن يصلي كما يجب أو كما كان يصلي في شهر رمضان وهو مُنشرح الصدر سعيد.

۞ حتى في حال الدعاء لن يكون دعاء المكتئب كدعاء غير المكتئب ،وقياسًا على ذلك كل شيء.

۞ لذلك نجد أن الشيطان يُحزن الذين ءامنوا لئلا يعبدوا الله كما يجب فيجعل العبد يصلى ولا يدري ماذا قال في صلاته وإذا قرأ في كتاب الله يكون ساهٍ غافل ،يمتنع عن حضور مجالس العلم أو الذكر ، فالاكتئاب يثبط صاحبه وهذا من فعل الشيطان فنرجو أنا ندعوا الله أن يصرف عنا الحزن ونستعيذ بالله منه ومن الهم والغم حتى لا يكون الملتزم أو المُلتزمة صورة سيئة لغيرهم فيصدوهم عن سبيل الله.

الشاهد : أن العبد عليه أن يدعو ربه مادام قلبه ينبض وعليه أن لا ييأس أبدًا من رحمة الله ولا من روح الله وأن الله سبحانه تعالى سوف يعطيه حتى يرضى ؛ فقط علينا الإقبال عليه بالقلوب لا بالأبدان.

قال تعالى: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)}[الضحى]

قيلت.. للنبي ﷺ وأيضًا كل شخص أطاع الله من وراء النبي ﷺ ..

له هذا الموعود فموعود الله لكل شخص أطاع الله أن يعطيه حتى يرضى

فى الدنيا قبل الآخرة .

❁ إذا قال شخص : دعوت ولم يستجب لي إذًا هذا هو قدري ، أن دعائي

لا يستجاب نقول له: إياك أن تحتج بالقدر على النفي أو غيره.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ [ص:٢١٤] يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ» مسند أحمد(١١١٣٣).

❁ شروط الدعاء:

أن لا يتضمن إثم أو قطيعة رحم ، كأن يدعو على شخص أن ينزل به بلاء ،أو دعوة فيها قطيعة ، كأن يدعو الله أن يفرق بينه وبين أخيه فإذا لم يتضمن الدعاء الإثم أو قطيعة الرحم فإن الدعاء سوف يُستجاب إذا كان هذا الداعي ماله حلال ولنتيقن من ثلاث:

١ -إما أن تجاب الدعوة ويُعَجّل بها للعبد ويعطيه الله سؤله.

٢ -وإن لم يعطه إياها فسيعطه مثلها، بمعنى: شخص يدعو الله أن يُحرز تقدمًا في أمرٍ ما ولم يستجب الله له رغم إخلاصه فى الدعاء وتحقق شروط الإجابة لكن الله لم يعطه سؤله رغم كل هذا.

(لحكمة هو يعلمها)

ولكنه يعطيه شئ آخر أفضل بكثير مما دعا به ، لكن للأسف الإنسان عجول وظلوم وجهول وكنود وما عرف ربه حق المعرفة.

قال تعالى:

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) } [العاديات]

تلك هي طبيعة الإنسان .

❁ الشاهد : إذا دعا بدعوة ولم يعطه إياها فسوف يُعطه مثلها شئ آخر ؛ولكن العبد لا ينتبه لهذا ، وذلك لأن الإنسان كما قال تعالى:(لَكَنُودٌ) :أي فيه جحود ، الله سبحانه دفع عنه ما دعا به و أعطاه غيره .

❁ فإن لم يكن هذا العبد مؤمنًا فلن يُفكر إلا في أن دعوته لم تستجب وبالتالي فلن يحمد الله على عطائه.

❁ أما العبد المؤمن فإنه يرى أن عطاء الله كله خير فيرضى بما جاءه ويحمد الله على المنع قبل أن يحمده على العطاء

٣-إذا لم يعطه نفس الدعوة أو مثلها ادخرها له في الآخرة.

ووقتها سيقول ياليت دعائي لم يستجب كله لأن كل ما ندعو به ولا يستجاب فإن الله سبحانه وتعالى يدخره لنا فى الآخرة.

لذلك قال النبي ﷺ "الدعاء هو العبادة" إذن مهما تدعو فلا يجب أن تيأس من رحمة الله ولتستمر فى الدعاء لسببين :

١ - أولهما : أنه عبادة فكل كلمة تخرج من العبد في الدعاء.

تكتبها الملائكة له بوصفها عبادة ، فهو يتعبد إلى الله بهذا الدعاء وعليه أن يسجد و يطيل السجود ويبكي ويتذلل لأن كل هذا يدخل في باب تعبد العبد لربه وله فيه أجر

٢_وفي الآخرة : كل ما دعا به ولم يُعطه في الدنيا أو يعطى مثله فإنه يكون مُدخرٌ له في الآخرة أو أن يصرف عنه شر.

❁ مسألة غلاء الأسعار من الإيمان بالقدر:

وهذا أمر يُعاني منه الجميع الآن

✎ سئل شيخ الإسلام فى هذه المسألة فى زمانه فقيل له:

هل الغلاء والرخص من قدر الله أم لا؟

أجاب فقال : جميع ما سوى الله من الأعيان وصفاتها وأحوالها مخلوقة لله مملوكة له وهو ربها وخالقها ومالكها ومدبرها إلى آخر كلامه رحمه الله.

ثم قال : فالغلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بانخفاضها هما جملة الحوادث التى لا خالق لها إلا الله وحده....

إلى أن قال : ولكنه سبحانه وتعالى جعل بعض أفعال العباد سببًا فى الحوادث كما جعل قتل القاتل سببًا فى موت المقتول، وجعل ارتفاع الأسعار قد تكون بسبب ظلم العباد فكل شئ مخلوق ،الأسعار بارتفاعها وانخفاضها فارتفاعها قد يكون بسبب ظلم العباد ، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان العباد.

قال تعالى :{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) } [الروم]

فهذا الزرع الذى نأكله سيئ وذاك ...

{لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرجِعُونَ}

فهذه المصائب النازلة علينا؛ رحمة من الله حتى نرجع ،الهواء فاسد ، و الطعام ملوث وحتى الأسماك التي تأتي من البحر مسممة لأنه يصطادوه بالديناميت أو يأخذ من مياه الصرف ،هذا قول الله:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)

فهذه الآية نزلت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة هذا الوقت لم يكن فيه فساد لا فى بر ولا فى بحر ولكن ظهر الآن بذنوب العباد .فهذا كله يحدث لكي نرجع ونعود إلى الله ولنعلم أن ما سُلطت علينا هذه الأشياء إلا بذنوبنا.

يتابع شيخ الإسلام قوله على غلاء الأسعار فيقول:ولهذا أضاف من أضاف من القدرية المعتزلة وغيرهم، الغلاء والرخص إلى بعض الناس.

هذا الكلام نعيشه الآن : وكأنه رحمه الله معنا اليوم وبنوا على ذلك أصولًا فاسدة

أحدها:أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله

الثانية:أنما يكون فعل العبد سببًا له ويكون العبد هو الذى أحدثه(أي أن العباد هم الذين يغلون ويرخصون الأسعار) وأن الغلاء والرخص يكون بهذا السبب فضلُّوا واتبعوا أصولهم الباطلة.

س/ كيف هذا ويوجد أشخاص بالفعل يرفعون ويخفضون فى سعر الصرف إذا فالعباد هم الذين يفعلون هذا؟

ج/ نعم لكن بقدر الله الكوني سُلط علينا العبد الذى يظلمنا ويفعل هذا فى الأسعار ويحتكر السلع كل هذا تسليط ولو شاء الله ما فعلوه ولكن فعلوا هذا بمشيئته ومقتضى حكمته وبذنوب العباد سُلط عليهم.

فلابد لنا أن نفيق ونعلم هذا لأنه مما عمت به البلوى فى أوساط الناس ملتزميهم وغير ملتزميهم ما قدروا الله حق قدره وما علموا من هو الله ولا علموا أسمائه ولا صفاته بالوجه الذى يرضيه فمعرفتنا بالله ضعيفة جدًا.

يبقى معنا شبهات حول القدر والرد عليها، وموضوع هداية القلب نكمله فيما بعد إن شاء الله.